المحاضرة الرابعة
الايبسيمولوجيا المعاصرة (المفتوحة)

1- مقدمة:

لقد ارتقى الباحثون في شؤون الطبيعة إلى مصف العلماء عندما اهتدوا إلى استخدام التجربة بمفهومها المنهجي.ولم يتأت لهم ذلك إلا بعد أن اتضحت لديهم خطوط الانفصال بين الفلسفة والعلم، وتحقق لهم هذا الانفصال يوم اعرضوا عن طرح المسائل الميتافيزيقية وتجردوا لدراسة الظواهر التي تقع تحت المشاهدة دراسة موضوعية، الأمر الذي جعل من المنهج التجريبي الاستقرائي مقياس للعلوم، خاصة عند أصحاب النزعة التجريبية، لكن مع ظهور الحركة الفكرية في فلسفة العلم المعاصرة طرحت عدة إشكاليات حول طبيعة العلم ومنهجه وحتى نتائجه التي أصبح الشك يحوم حولها، مما افرز إشكالية جديدة على مستوى(العلم، العقل، الحقيقة والمنهج) حيث ظهرت ابهامات غير قابلة للحل ومليئة بالألغاز في العلوم الحديثة بما فيها العلوم الرياضية.و لعل هذه الاتهامات تعود بالدرجة الأولى إلى لغز الذاتية، وترتبط بعامل السيكولوجية وعليه نتساءل ما طبيعة الابستيمولوجيا المعاصرة(المفتوحة) ؟.

2- توسيع :

أ- الوضعية المنطقية

تأسست الوضعية المنطقية على يد جماعة من العلماء والفلاسفة والمناطقة الذين كانوا رغم تنوع آرائهم واختلاف منطلقاتهم يجمعون على ضرورة تقديم فهم علمي للعالم، وقد التف هؤلاء حول **موريس شيليك** الذي كان يشغل كرسي الفلسفة والعلوم الاستقرائية بجامعة **فين**(، وعلى الرغم من أن أصول رؤى الوضعيين تمتد في التاريخ لتصل إلى أسلاف تقليديين كعالم الاجتماع **كونت**، والتجريبيين الكلاسيكيين خاصة **ديفيد هيوم وستيوارت ميل**، إلا أن انطلاقتهم الحقيقة، كانت من خلال البيان الذي تم إصداره في سنة 1929، والذي عرف بإعلان" **حلقة فينا**."
لقد ظهر هذا التصور الفلسفي كاستجابة للروح العلمية التي ميزت بدايات القرن العشرين، إذ دفعت أعضاء الحلقة إلى إعلان انتفاضتهم ضد التقليد الفلسفي الذي كرسته الأنساق الفلسفية الكلاسيكية، والمثاليات الألمانية، التي دأبت على الانشغال بالبحث في قضايا الميتافيزيقا كالوجود والنفس والروح، ولهذا حملوها مسؤولية التردي الذي تهاوت فيه الفلسفة حينما انساقت وراء سراب الحقيقة ووهم العقل، فالمؤتمرات العلمية والندوات التي كانت تعقد آنذاك، كانت تكشف عن تقدم هائل في ميدان الفيزياء، يوازيه جمود مستمر في الفلسفة، لهذا اعتقدوا أن مهمتهم هي إنهاء هذا الزن (*)الفلسفي الميتافيزيقي الذي استمر لقرون، والخروج بالفلسفة من التيه في أوهام الميتافيزيقيا، والحد من البحث في التساؤلات التي تسعى إلى استكناه أسرار العالم، لأن هذه مهمة العلم، أما مهمة الفلسفة فهي الانكباب على لغة العلم لتوضيحها أو تحليليها اعتمادا على المنهج التحليلي ومستثمرة لنتائج التطورات المتواصلة التي عرفها المنطق الرياضي.

ترى التجريبية المنطقية أن العلم شبكة من القضايا المنسجمة انسجاما منطقيا و ممنهجة بقواعد ميتودولوجية، لغرض بناء نسق علمي فلسفي متماسك، يبعد عنه الطابع الذاتي والتفسيرات الميتافزيقية كالخيال والحدس والتخمين.ويغلب عليه الطابع الموضوعي والتفسيرات الوضعية كالدقة والوضوح والتمييز بين العلم واللاعلم.حيث ينظر بنتراند راسل إلى العلم على أنه ممارسات يقوم بها العلماء والباحثين تحكمها شروط معينة و معايير ثابتة.حيث هناك ثنائية بين ماهو علمي ولاعلمي لانهما يتصفان ب (الموضوعية والذاتية) و(العقلانية واللاعقلانية) و(العلم واللاعلم)ومنه العلم له معنى ومصاغ بلغة رياضية بينما الفلسفة لغو وذالك عن طريق مبدا التحقيق اي يجب ان تكون المعرفة قابلة للتحقيق .

ب - العقلانية النقدية (كارل بوبر 1994/1902) ومبدا قابلية التكذيب :

يرى بوبر أن المعرفة على العموم والمعرفة العلمية على أخص الخصوص بناء صميم طبيعته الصيرورة , التقدم المستمر, فلا تكون نظرية العلم نظرية في تبريره , بل في أسلوب هذه الصيرورة أو كيفية التقدم المستمر , الأسلوب أو الكيفية هو ما يعرف بالمنهج العلمي , ومن ثم تكون نظرية العلم أو فلسفة العلم هي نظرية المنهج العلمي , هي ذاتها منطق الكشف العلمي. أتت فلسفة بوبر رائدة قادرة على دفع فلسفة العلم إلى آفاق أبعد لأنها انطلقت من موقف الاستيعاب والاستشراف لآفاق ثورة العلم العظمى , ثورة الكم والنسبية , بعقل تحرر تماماً من رواسب المرحلة النيوتُنية الحتمية .فاستطاع بوبر أن يقدم صياغة دقيقة لمنطق الكشف العلمي في أعقد وأدق تفصيلاته , حققت استفادة بالغة من تقنيات المنطق الرياضي. ومادام بوبر يؤكد أن منطق العلم ومنهجه وجهان لعملة واحدة , كان من الطبيعي أن تنصب فلسفته الرائدة للعلم في إطار نظرية منهجية. وتتفق الأطراف المعنية على أن كارل بوبر فيلسوف المنهج العلمي الأول وبغير منازع على هذه الأولوية

تميزت العقلانية النقدية عند بوبر بسمتين أساسيتين: وهي السّمة الايبستيمولوجية التي تعتمد على نقد المعرفة من حيث أصلها أو تطورها أو صيرورتها لكشف أخطائها، أما السّمة السوسيولوجية والتي تتمثل في المجتمع المفتوح الناقد لكل أشكال الديكتاتورية والأفكار الشمولية والسلطوية، حيث يدعو بوبر إلى مجتمع يجد فيه أفراده الحرية في نقد كل شيء لا يرونه في صالحهم لبناء مجتمع ديمقراطي بدون سلطة علمية.حيث يرى بان كل معرفة قابلة للتكذيب علم .

---

[1]_ بدوي عبد الفتاح :فلسفة العلوم، العلم ومستقبل الانسان إلى أين؟، دار قباء الحديثة للطباعة والنشروالتوزيع، القاهرة 2001، ص35

2_ عوض عادل:الابستيمولوجية بين نسبية فيرابند وموضوعية شالمرز، منشأة المعارف العامة، الاسكندرية، 2000، ص96

كلية العلوم الاجتماعية
جامعة وهران 2

التخصص: علم الاجتماع التربوي و المعرفة.
المقياس: الابستيمولجيا.
أ. مزراق سيدأحمد.

المحاضرة الخامسة
الايبسيمولوجيا المعاصرة (المفتوحة)

ج - عقلانية المؤسساتية توماس كون والبراديغم (1996/1922) :

تتميز العقلانية المؤسساتية بالنزعة التاريخية وهذا مايتجلى في كتابه (بنية الثورات العلمية) الذي نشر عام 1962، كما يؤسس توماس كون نظريته في العلم على رفض المنهج التراكمي المعتمد على منطق التبرير والمنهج الانفصالي المعتمد على منطق الكشف حيث حاول توماس كون المزج والتركيب بين المنهجين، إذ يقول:(انني بدأت حياتي الفكرية، مشبعا فكريا بهذه التمايزات والصراعات بين هاذين المنهجين حتى تولدت لدي قناعة وهي من الصعوبة أن أكون أكثر وعيا مما ترمي إليه هذه المناهج من محتوى فكري، معتبرا إياها متعلقة في صميم طبيعة المعرفة).
ويتمثل البراديغم عنده في هذا المخطط ويظهر تطور العلم وفق النمط التالي:"نموذج إرشادي (علم سوي)، أزمة، ثورة علمية(علم ثوري)، ثم نموذج إرشادي جديد"بمعنى:
علم سوي يسود لفترة طويلة ____ أزمة ____ علم شاذ ____ علم سوي ____دورة جديدة.
لكن هذا النمط الذي جاء به كون لم يظهر في المجالات العلمية السابقة مستشهدا بما جاء به نيوتن حول نظرية المادة، إذ لم يظهر أي نموذج أثناء الفترة التاريخية الطويلة لنظرية المادة، فمنذ عصر ماقبل سقراط إلى عصرنا الحالي نجد أن هناك مناقشات لا تنتهي بين أفكار مستمرة وغير مستمرة عن المادة وبين نظريات مختلفة ومتنوعة عن الذرة والأثير والموجة وقضايا علمية أخرى.

د-العقلانية الميتودولوجية امري لاكاتوشوبرامج البحث العلمي :

ينطلق لاكاتوش في مشروعه لتأسيس عقلانية ميتودولوجية جديدة من مفاهيم جديدة ليشكل بما يسميه "برامج الأبحاث العلمية"التي تعد النمط الناضج للعلم ،فهذا الأخير هو برنامج بحث ضخم يرتكز على قواعد أساسية وهي:**النواة الصلبة** و**الحزام الواقي** و**حزام الأمان** كما يتميز هذا البرنامج **بالكشافة السلبية** و**الكشافة الايجابية** التي تحدد قواعد البحث لتوجيه الباحث في دراسته للعلم .لكن ما جاء به لاكاتوش، ففي اعتقادنا إن هذه المعايير لا هي عقلية ولا هي لا عقلية وإنما تنتمي إلى الحس المشترك، ويشبه لاكاتوش بآباء الكنيسة القدماء الذين قدموا عقائد ثورية في شكل صلوات عائلية، والتي كانت لا تمثل الحس المشترك في ذلك الوقت، لتصبح تدريجيا هي الحس المشترك ذاته وعليه يرى فيراباند أن لاكاتوش لم يكن ميتودولوجيا بمعنى الكلمة وإنما في الواقع قدم لنا ألفاظ أو مفاهيم في مجال الميتودولوجي.

ـ ه- الفوضوية الابستيمولوجية كبديل في تصور "فيرابند"1994/1924من المنهج الى اللا منهج

لقد ثار"فيرابند"على العلم الذي يقوم على المنهج بحكمه نسق مغلق يقيد عقل الانسان من خلال خطواته الصماء وسيدفعه إلى توديعه تاريخيا، حيث المنهج في نظره بلا عقل الأمر الذي أدى بفيرابند باعطاء البديل المتمثل في الفوضوية الابستمية، التي ترتكز على:(**النسباوية والمعيارية الفردية، الدادئية وتدمير الدوغمائية، مركزية الإنسان في العلم، والكاوس الإبستيمي).**

لعل فيرابند هو أول من وظف مصطلح الفوضوية في المجال العلمي بعدما كان متداولا في المجال السياسي فقط، حيث استعمله في فلسفة العلم المعاصر ليناهض به العقلانية العلمية الكلاسيكية التي كانت تقوم على القواعد والمناهج الثابتة، فالعلم حسب اعتقاد فيرابند "مشروع فوضوي "، فهو بذلك يرفض كل قانون علمي دغمائي خادع، فيمكن أن نجد قانونا فوضويا أكثر مصداقية من قانون يبدو نظاميا، فهو–"فيرابند"- يثور ضد الابستيمولوجية المفتوحة، بمعنى أن الابستيمولوجية الفوضوية جاءت لمناهضة الابستيمولوجية النظامية.أي "ضد المنهج".

يؤكد" فيرابند " بأن كل ما يستفزنا يدعو إلى المعرفة، حتى الأشياء اللامعقولة فيها معارف فكل المناهج في نظره مقبولة تبعا لشعاره :" كل شيء حسن" [*2] إن الفوضوية الابستيمولوجية التي ينادي بها "فيرابند"هي اتجاه مناهض لكل ميتودولوجية معيارية تدعي الثبات في القواعد والصرامة في المنهج والموضوعية في الحكم والعقلانية في التفكير، كما كان سائدا عند علماء العقلانية الكلاسيكية، أمثال الوضعية المنطقية والتكذيبية الذين كانوا قد حصروا العلم في قوالب منهجية جامدة .فالفوضية لا تعني العشوائية أو الرفض التام للعلوم، بل هي عدم التقيد بقوانين العقل ومعايير العقلانية، والتفتح على جميع النظريات التي تبدو غير عقلانية كالأساطير والخرافات والسحر والخيال والعاطفة والتقاليد.فالعلم الذي يؤمن به "فيرابند" هو الأكثر فوضى ولا عقلانية، مقارنة بصورته العقلانية والنظاميةالتي تتمسك بالقواعد المنطقية والوضوح والتحقق، فالعلم عند فيرابند عكس ذلك فهو في معاكسة القوانين المنطقية وكذا في المبادىء العقلانية والمناهج العلمية .فليس هناك معايير ثابتة أو قواعد مسطرة تحدد مسار العلم، ولا توجد نظرية واحدة أو قانون واحد، بل هناك نظريات متعددة ومتعارضة ووجهات نظر مختلفة لتفسير الوقائع العلمية." فإذا أردنا أن نفهم حقيقة العلم وجب علينا أن نستعمل جميع الافكار، والمناهج، وليس في اختيار البعض منها فقط"

1- خاتمة:

مما تقدم نستنتج أن دافيد هيوم D-Humeأول من صاغ ما يعرف" بمشكلة الاستقراء "إذ كيف يمكن تبرير القفزة التعميمية من عدد محدود من الوقائع التجريبية إلى قانون عام و كلي؟ فانشغل العلماء بعد هيوم في البحث في هذا المشكل الذي تحول إلى موضوع رئيسي في فلسفة العلوم بعد هيوم .حيث أشار" كارل بوبر " K-Popper إلى المنهج الاستنباطي القائم على" مبدأ التكذيب "بديلاً للمنهج الإستقرائي القائم على" مبدأ التحقق ."إلا أن الإتجاه البوبري لم يسلم بدوره من النقد، خاصة مع

1_ بول فرابند: العلم في المجتمع الحر، ترجمة السيد النفادي وسمير حنا صادق، المجلس الاعلى للثقافة، مصر، 2000م، ص54

*–"كل شيء حسن" لقد ترجم هذا الشعار عن الانجليزية" Anything Gooes" والفرنسية"Tout est bon" "كل شيء على ما يرام " "كل شيء مقبول" " كل شيء يمر" ونعتقدان " كل شيء مقبول" هي الترجمة الاقرب إلى الدلالة التي ارادها" فيرابند".

ظهور النزعة النسبانية بدءاً من" توماس كوهن "مرورا"بلاكاتوش"ووصولاً إلى" فيرابند" الذي يمثل الحلقة الأخيرة،و الذي وضع موضع الشك القيمة التي تعطيها
التصورات الإبستيمولوجية للعلم